تفسير

آيــات الحسبلة

دراسة تحليلية موضوعية

دكتور

محمد محمود الصفتى

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ،أرسل رسولهﷺ بالهدى فأماط عن وجه الحق النقاب،وأيده بجامع القول وبينات الكتاب، تبصرة وذكرى لكل عبد أناب، فالصلاة والسلام عليه وعلى الآل والأصحاب ما تنفس صبح ورقرق جدول وانساب. **و بعد**

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو معجزة نبيه ﷺ الخالدة، أخرج به هذه الأمة من الضلالة إلى الهدى، ومن الجهالة إلى العلم ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] وقد تكفل الله بحفظه من أن تطاله يد التحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2] ولم يتكفل بحفظ غيره من الكتب المنزلة على رسله؛ ليكون هذا الكتاب هو المرجع الذي ينبغي أن يفيء إليه الناس جميعا، يستقون من مورده العذب، ويهتدون بهديه فيما اختلفوا فيه، فمن قال به صدق، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ٠

ومن ثم استخرت الله ﷻ واخترت موضوعاً قرآنياً يدور فى فلك كلمة كثيراً ما نطق بها اللسان واخترقت حجاب القلوب قبل الآذان وهو" **تفسير آيات الحسبلة دراسة تحليلية موضوعية** " آملاً أن آخذ بيد قراء هذا البحث للعيش فى ظلالها وتنسم أريجها،والاقتباس من أنوارها ،والوقوف على طرف من أسرارها٠ ويرجع **سبب اختيارى** هذا الموضوع إلى عدة أسباب منها:

---

(١) سورة آل عمران /١٦٤ ٠

(٢) سورة الحجر /٩ ٠

أ- أن الأذكار الشرعية من أجل القربات، وأفضل الطاعات، ولها من الثمار اليانعة والفضائل المتنوعة ما لا يحصيه إلا الله ،وهى مع ذلك تمتاز بكمال معناها وجمال ألفاظها وتنوع دلالاتها وقوة تأثيرها ،حيث جاءت بألفاظ جزلة وكلمات مختصرة ،ودلالات عميقة،فأردت من خلال هذا البحث الوقوف مع الحسبلة فى ضوء القرآن الكريم ليقف الذاكر ربه بها ،على فضلها ومعناها من خلال تفسير آيها فأفضل الذكر وأنفعه ما وافق القلب فيه اللسان٠

ب – أن هذه الآيات على قلة عددها تأخذ بأيدينا إلى العقيدة الصحيحة و الفطرة السوية إذ تدعونا إلى الإيواء إلى ركن شديد فعال لما يريد ٠

جـ – حوت هذه الآيات جملة من القضايا المهمة التى تمس الحاجة على إبرازها فى مجال الدراسات القرآنية ، والعقيدة الإسلامية كما سيتضح فى ثنايا البحث ٠

أما عن **خطة البحث** فكانت على النحو التالى:

قسمت البحث إلى مقدمة ،وتمهيد ،وثلاثة مباحث وخاتمة:

فأما **المقدمة** فذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع ، وخطة البحث،ومنهجه٠

وأما **التمهيد** فبينت فيه المراد بالحسبلة ،وعناية العلماء بها ،والوقوف على فضلها

وأما **المبحث الأول** فعنوانه: **أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالحسبلة ٠**

والمبحث الثانى فعنوانه: **الله حسب النبى ﷺ والمؤمنين ٠**

والمبحث الثالث فعنوانه:**العلاقة بين الحسبلة والتوكل ٠**

وأما **الخاتمة** فضمنتها أهم النتائج والتوصيات ٠

وأخيراً **الفهارس** وهى كالتالى:

- فهرس أهم المصادر والمراجع – فهرس الموضوعات ٠

وكان **منهجى** فى عرض ودراسة هذا الموضوع كما يلى:

-قسمت آيات الحسبلة إلى مباحث، ووضعت تحت كل مبحث ما يخصه من آيات،مع عرض تفسير كل آية على حدة ٠

-عزو الآيات القرآنية الكريمة بذكر السورة ورقم الآية ٠

-ذكر القراءات التى تساعد على إضافة بعض الأوجه التفسيرية وتوثيقها من الكتب المعنية بذلك وتوجيه ما يحتاج إلى توجيه ٠

-تخريج الأحاديث النبوية الشريفة ٠

-ذكر بعض النكات البلاغية، وإعراب بعض الألفاظ فى حدود ما يخدم التفسير ٠

– التوفيق بين الآراء ما أمكن ٠

- توثيق النقول والتعليق عليها عند الحاجة لذلك ٠

– عدم التراجم للصحابة، والرواة أو الأعلام ؛ إذ لا يخفى واحد منهم على متخصص، لئلا ينشغل القارئ بالفرع عن الأصل ٠

– ذكر اسم الكتاب عند وروده أول مرة، وترك سائر بياناته لفهرس المراجع حتى لا تثقل الحاشية بما سيتكرر بعد.

والله – تعالى – أسأل التوفيق و السداد، و الهداية والرشاد.....

وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله – تعالى – على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

يطيب لى قبل البدء مع آيات الحسبلة والدوران فى فلكها ،وبيان معناها أن أمهد بتمهيد ألقى من خلاله الضوء على النقاط الآتية:

أولاً: المراد بالحسبلة ٠

ثانياً:عناية العلماء بالحسبلة ٠

ثالثاً: فضل الحسبلة ٠

وأبدأ بحول الله وقوته فى تجلية النقاط آنفة الذكر

أولاً: المراد بالحسبلة

الحسبلة: من الألفاظ المنحوتة[١] ،وهى حكاية لقول:حسبى الله ،على ما ذكره غير واحد [٢]٠

ثانياً:عناية العلماء بالحسبلة

باستقراء ما جاء عن أهل العلم فى شان الحسبلة يتبين أن عنايتهم بهذه الكلمة أخذت ثلاث صور:

الصورة الأولى: ذكر ما جاء من آثار فى فضلها وبيان معناها من خلال التعرض لتفسير آى الذكر الحكيم التى حوت هذه الكلمة،أو ما يتعلق بها من مسائل عقدية وأحكام فقهية دون إفرادها بالتصنيف ٠

الصورة الثانية:إفرادها بالتصنيف ولم أقف من خلال المصادر المعنية بذلك إلا على مصنفين فى شأنها:

---

(١) **النحت** :أن يختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة ،ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاستقراء خلافا للبعض ، ولا الأخذ من كل الكلمات ولا موافقة الحركات والسكنات ولكن يعتبر ترتيب الحروف ومن النحت البسملة من "بسم الله "،والهيللة من "لا إله إلا الله " والحولقة من "لا حول ولا قوة إلا بالله " ،ينظر المزهر فى علوم اللغة ٣٧١\١ الصاحبى ٦٩\١ ،معجم القواعد العربية ٢٦٨ ٠

(٢) القاموس المحيط ١٢٧٢\١ ،تاج العروس ٦٩٧٦\١ ٠

الأول: سواء السبيل إلى إعراب حسبنا الله ونعم الوكيل للسيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي.

والثانى:العذب والسلسبيل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل للإمام أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى [1] .

وبالنظر فى عنوان المصنف الأول يتضح أنه عنى بإعراب الكلمة ولم أقف عليه ، وأما المصنف الثانى[2] فما هو إلا ورقات حوت دعوات خاصة تدور فى فلك هذه الكلمة كتبها الإمام الشاذلى بعيدة عن تفسيرها .

الصورة الثالثة:بيان ما يتعلق بها من أصل كتابتها فى آخر الكتاب ، وكيفية كتابتها ،ومن ذلك ما جاء فى شأن وضعها فى آخر الكتاب وفيه جملتان:

الجملة الأولىفي أصل كتابتها:والأصل في ذلك ما دل عليه قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾[3] فجعل قولهم: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ سبباً لحسن المنقلب والصون عن السوء .

الجملة الثانية في بيان ما يكتب في ذلك وكيفية وضعه في الكتابة: قد يتأدب الأدنى مع الأعلى فيأتي بالآية على نصها فيقول﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ فرارا من نون الجمع التي هي للعظمة، وقد يقال في مكانها ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [4]فأما للأعلى إذا كتب للأدنى فلا يخرج عن﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ وأما موضع وضعها في الكتابة فقد اصطلحوا على أن يكتبوها سطراً واحداً بعد سطر الحمد لله ،والصلاة على رسول الله ﷺ ،وموضعها ثلث السطر من الجانب الأيمن إلى حيث ينتهي. [5]

---

(١)إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢٩/٤ ،٩٧ .

(٢) طبع كتاب الإمام أبى الحسن الشاذلى بعنوان "السر الجليل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل " مطبعة الشرق ،الطبعة الأولى ،بدون تاريخ ،وعدد أوراقه ٢٨ ورقة .

(٣) سورة آل عمران /١٧٣ ،١٧٤ .

(٤) سورة الطلاق / ٣ .

(٥) صبح الأعشى ٢٥٨/٦ ،٢٥٩ .

مما سبق يتبين أن العلماء الأجلاء اعتنوا بالحسبلة إلا أن عنايتهم لم تخرج عن هذه الصور آنفة الذكر ،ولم تتجاوز ذلك فيما أعلم إلى إفراد تفسير لها ، وبيان ما يتعلق بها من قضايا فى مصنف.

ثالثاً: فضل الحسبلة

للحسبلة فضل كبير وثواب عظيم إذ سطر الله بعض فضلها فى آى كتابه وكشف النقاب عن شىء من ثوابها إمام أنبيائه وصفوة أوليائه وفيما يلى إيضاح ذلك:

❁ الحسبلة سبيل لنيل نعمة الله وفضله

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) وفى ذلك قال الإمام القرطبى : قال علماؤنا: لما فوضوا أمورهم إلى الله واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربعة معان النعمة، والفضل، وصرف السوء، وإتباع الرضا (٢).

ومما ورد نسبته إلى الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: عجبت لمن بلى بخمس كيف يغفل عن خمس عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه أن يقول : ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾والله تعالى يقول:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ (٣) وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهب عنه أن يقول ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ والله تعالى يقول:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)،وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهب عنه أن يقول ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾والله تعالى يقول:﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾(٥) وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول:﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ

(١) سورة آل عمران /١٧٣، ١٧٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٨٢ .
(٣) سورة الأنبياء /٨٣، ٨٤ .
(٤) سورة الأنبياء /٨٧، ٨٨ .
(٥) سورة آل عمران /١٧٣، ١٧٤ .

﴿ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ والله تعالى يقول﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾(١) وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾والله تعالى يقول ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾(٢)(٣)

❁ الحسبلة كلمة المرسلين والمؤمنين ٠

فعن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٤)(٥)

ألا ترى ما لهذه الكلمة من بركة عند نزول الكرب وشدة الخطب قالها إبراهيم عليه السلام فأنجاه الله بها من النار ،وقالها النبى ﷺ فى مواجهة الكفار فأنجاه الله ومن معه بها من الأخطار ٠

ومما يستأنس به فى هذا المقام أن الكلمة جرت على لسان نبيين كريمين أمرنا الله بالتأسى بهما فقال ﷻ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓۚ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٦) وقال: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (٧) ٠

ومن ثم فطنت إلى بركة هذه الكلمة وما لها من فضل فى تفريج الكرب أمنا المبرأة الصديقة السيدة عائشة رضى الله عنها ففزعت إليها حين رميت بالإفك فعَنْ مُحَمَّدِ بن جَحْشٍ، قَالَ: افْتَخَرَتْ عَائِشَةُ، وَزَيْنَبُ، فقالت زينب أَنَا الَّذِي زَوَّجَنِي

---

(١) سورة غافر/ ٤٤، ٤٥ .

(٢) سورة الكهف/ ٣٩ .

(٣)لم أقف له على إسناد فيما تحت يدى فالله أعلم بحاله ،وذكر فى روح البيان ٣٣٣/٨ سراج الملوك ١٦٥/١ ٠

(٤) سورة آل عمران /١٧٣ ٠

(٥)أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ...} حديث (٤٢٨٧) ٠

(٦) سورة الممتحنة /٤

(٧) سورة الأحزاب /٢١ ٠

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ:أَنَا الَّذِي نَزَلَ عُذْرِي حِينَ حَمَلَنِي صَفْوَانُ بن الْمُعَطَّلِ، فَقَالَتْ لَهَا زَيْنَبُ:أَيُّ شَيْءٍ قُلْتِ حِينَ رَكِبْتِ؟قَالَتْ:قُلْتُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَتْ:قُلْتِ كَلِمَةَ الْمُؤْمِنِينَ. (١)

وفى بيان ما لهذه الكلمة المباركة من أثر فى تفريج الكرب عند شدة الخطب قال الإمام السيوطى فيما استنبطه من قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ فيه استحباب هذه الكلمة عند الغم والأمور العظيمة (٢).

❁ الحسبلة أمان عند الفزع

فعن أبى سعيد الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .(٣)

يبدو لى أن أمر النبى ﷺ بقول هذه الكلمة عند النفخ فى الصور لما لها من أثر فى الأمن من الفزع ؛لأن الله ﷻ ذكر ما يصاحب النفخ فى الصور من تقطع الأنساب:﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ (٤) والفزع من يوم الحساب﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ** ﴾ (٥) مما يجعل العبد يفزع إلى كلمة يعلن بها استغاثته بمسبب الأسباب .

فائدة

---

(١) أخرجه الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٩٣/١٧ حديث (١٩٦١٧) ،وابن جرير فى تفسيره ١١٩/١١ ،وذكره السيوطى فى الدر ٦١٦/٦ وزاد نسبته إلى الحكيم الترمذى وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٨٨/٩ وقال :رواه الطبرانى وفيه المعلى بن عرفان وهو متروك

(٢) الإكليل ص ٥٧ .

(٣) أخرجه الإمام الترمذى فى سننه كتاب صفة القيامة باب ما جاء فى شأن الصور حديث (٢٤٣١) وقال :هذا حديث حسن ،والإمام أحمد فى مسنده ٨٩/١٧ حديث (١١٠٣٩) وابن حبان فى صحيحه كتاب الأذكار باب ذكر الأمر لمن انتظر النفخ فى الصور ١٠٥/٣ حديث (٨٢٣)وقال شعيب الأرنؤوط :إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٤) سورة المؤمنون /١٠١ .

(٥) سورة النمل /٨٧ .

ومما ينبغى الإشارة إليه أن الكلمة مع فضلها وإقرار الشرع للتلفظ بها فى وقت الملمات إلا أنه وجد من شذ فحرم على الناس قولها[١] ؛ لأنه لا يجوز إطلاق اسم الوكيل على الله ،وهذا من فرط جهلهم بالقرآن والسنة إذ جاء فيهما تسمية الله وكيلاً ،كما أن للوكيل معان فى اللغة تليق بجلال الله وكماله كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى ثنايا البحث ٠

فالحق أنه يسن قولها لمن غلبه أمر لما في حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ. فَقَالَ الْمَقْضِىُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِىَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ».[٢]

ويأخذ هذا الحديث بأيدينا إلى مشروعية التلفظ بالحسبلة وبيان وقت استعمالها على الوجه المشروع إذ معنى الحديث أن الله لا يرضى بالعجز والمراد بالعجز ها هنا ضد الكيس وهو التيقظ في الأمور، والابتداء إلى التدبير ،والمصلحة بالنظر إلى الأسباب واستعمال الفكر في العاقبة يعني كان ينبغي لك أن تتيقظ في معاملتك فإذا غلبك الخصم قلت حسبي الله وأما ذكر حسبي الله بلا تيقظ كما فعلت فهو من الضعف فلا ينبغي٠[٣]

---

(١) **فرقة الهشامية** أتباع هشام بن عمرو الفوطى من جملة القدرية ٠ الفرق بين الفرق ص١٤٥ ،التبصير فى الدين ص٧٥ ،٧٦ ٠

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه كتاب الأقضية باب الرجل يحلف على حقه حديث (٣٦٢٩) وأحمد فى مسنده ٤٠٨/٣٩ حديث (٢٣٩٨٣) ،والنسائى فى السنن الكبرى كتاب الشهادات باب ما جاء فى قوله : "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " ومن رضى بحكم الله فى ذلك ١٨١/١٠ حديث (٢٠٥١٤) والحديث إسناده ضعيف فيه بقية بن الوليد فيه مقال ،وسيف الشامى مجهول ٠ عون المعبود ٤٠/١٠ ،فيض القدير ٣١٥/٢ ٠

(٣) عون المعبود ١٠ /٤٠ ،٤١ ٠

آيات الحسبلة
دراسة تحليلية موضوعية

بإنعام نظر فيما جاء فى شأن الحسبلة من آى التنزيل يمكن تقسيمها إلى مباحث تتكشف بها جوانبها وتتضح فوائدها ، فالكلمة شأنها جليل بها أمر الله سيد المرسلين ،وبها كشف الله السوء عن المؤمنين وكيف لا ؟ وهى الكلمة التى لا يسأم من قولها المتوكلون والمستغيثون برب العالمين.

ومن ثم قسمت بحول الله وقوته وتوفيقه ومعونته آى الحسبلة ثلاثة مباحث فيما يلى بيانها وما يندرج تحتها من آى:

المبحث الأول: أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالحسبلة

ويحوى هذا المبحث الآيات التالية:

– قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)

– قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ (٢)

– قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٣)

المبحث الثانى:الله حسب ﷻ والمؤمنين

ويندرج تحته هذه الآيات المباركات:

–قال ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

– قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الزمر / ٣٨ .
(٢) سورة التوبة/ ٥٩.
(٣) سورة التوبة /١٢٨، ١٢٩ .
(٤) سورة الأنفال /٦٢ .
(٥) سورة الأنفال /٦٤ .

قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

المبحث الثالث: العلاقة بين الحسبلة والتوكل

قال ﷻ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (٢)

وأبدأ مستعينا بالله تعالى فى إيضاح كل مبحث وإبراز ما يندرج تحته من آيات

(١) سورة آل عمران /١٧٣، ١٧٤ .
(٢) سورة الطلاق /٣ .

المبحث الأول

أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالحسبلة

أمر الله نبيه الكريم ﷺ بالحسبلة فى آيتين كريمتين آية مكية، وأخرى مدنية ودعا المؤمنين إلى التلفظ بها واللجوء إليها فى آية مدنية وفيما يلى التفصيل بعد الإجمال

الموضـــــع الاول:قـال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)

تأتى الآية الكريمة فى سورة مباركة تعالج قضية من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢)

فسورة الزمر تكاد تكون مقصورة على علاج قضية التوحيد. وهي تطوف بالقلب البشري في جولات متعاقبة وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة؛وتهزه هزاً عميقاً متواصلاً لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة ، ومن ثم فهي ذات موضوع واحد متصل من بدئها إلى ختامها؛ يعرض في صور شتى (٣).

ومن ثم فالآية الكريمة تدور فى هذا الفلك من الحديث عن التوحيد تمكينا له فى القلب ونفيا لكل شبهة عنه.

فبعد أن بين الله ﷻ فى الآيات السابقة وعيد المشركين ، ووعد الموحدين ذكر الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام ، وبنى هذا التزييف على **أصلين:**

الأصل الأول: أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

والأصل الثاني:أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قولـه: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى

---

(١) سورة الزمر / ٣٨ .
(٢) سورة الأنبياء/ ٢٥ .
(٣) الظلال ٣٠٣٣/٥، ٣٠٣٤ .

﴿ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ وإذا كان الأمر كذلك كانت عبادة الله كافية وكان الاعتماد عليه كافياً ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .(١)

وبتأمل الآية الكريمة وكيف انتقلت من أصل إلى آخر وصولاً إلى تقرير حقيقة تزاحم الشمس فى عليائها أن عبادة الله كافيه وأن الله كاف عباده نقف على فوائد جمة .

فالآية الكريمة اشتملت على سؤالين:**الأول** قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ فالمشركون لا يملكون أمام هذا السؤال الذى استنطق فطرهم إلا الاعتراف بأن الخالق هو الله ،وفى هذا دلالة على تناقضهم إذ يعترفون بأن الله خالق السموات من فوقهم والأرض من تحتهم ثم يشركون معه آلهة لا تملك نفعاً ولا تدفع ضراً .

ومن ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يوجه قوله للمشركين موبخاً ومبكتاً إياهم عن طريق السؤال **الثانى**: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ .

وجاءت جملة﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾على أسلوب حكاية المقاولة والمجاوبة لكلامهم المحكي بجملة﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ولذلك لم تعطف الثانية بالواو ولا بالفاء،والمعنى:ليقولن الله فقل أفرأيتم ما تدعون من دون الله .. .والفاء من ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ ﴾ لتفريع الاستفهام الإنكاري على جوابهم تفريعا يفيد محاجتهم على لازم اعترافهم بأن الله هو خالق السماوات والأرض ،وهذا تفريع الإلزام على الإقرار ،والنتيجة على الدليل فإنهم لما أقروا بأن الله خالق السماوات والأرض يلزمهم أن يقروا بأنه المتصرف فيما تحويه السماوات والأرض،والرؤية قلبية،أي أفظننتم.(٢)

وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه ﷺ فى قوله تعالى:﴿ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ... ﴾ للرد في نحور المشركين ؛ حيث كانوا

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٤٥، ٢٤٦ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٣ .

يُخوفونه من معرَّة الأوثان ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [1]،ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصيحة[2] .

والضر:سوء الحال إما فى النفس لقلة العلم والفضل والعفة،وإما فى البدن لفقدان جارحة،وإما فى حالة ظاهرة من قلة مال وجاه،والضر ضد النفع[3]،وقدم الضر على الرحمة ؛لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

ولله در الإمام الزمخشرى إذ قال: إن **قلت**: لم قيل: كاشفات، وممسكات على التأنيث بعد قوله: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ ؟[4]

قلت: أنثهن وكن إناثاً وهن اللات والعزّى و مناة، قال تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [5] ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضرّ وإمساك الرحمة ؛ لأنّ الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة، كأنه قال الإناث اللاتي هن اللاّت والعزّى ومناة أضعف مما تدعون لهنّ وأعجز ، وفيه تهكم أيضاً. [6]

والكاشفات:المزيلات،فالكشف مستعار للإزالة بتشبيه المعقول وهو الضر بشيء مستتر،وتشبيه إزالته بكشف الشيء المستور،أي إخراجه،وهي مكنية[7] والكشف استعارة تخييلية. [8]

والإمساك أيضا مكنية بتشبيه الرحمة بما يسعف به، وتشبيه التعرض لحصولها بإمساك صاحب المتاع متاعه عن طالبيه. [9] .

---

(١) سورة الزمر /٣٦ .

(٢) البحر المديد ٦/ ٤٠٠ .

(٣) عمدة الحفاظ ٢/ ٣٧٤ .

(٤) سورة الزمر /٣٦ .

(٥) سورة النجم/١٩ :٢١ .

(٦) الكشاف ١٣٢/٤ .

(٧) **الاستعارة المكنية** : ما حذف منها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه . التلخيص فى وجوه البلاغة ص ٣٢٥، ٣٢٦ .

(٨) **الاستعارة التخيلية** :أن تستعير لفظا دالاً على حقيقية خيالية يقدرها فى الوهم ثم يردفها بذكر المستعار له إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها . معجم البلاغة ٢٦٤/١ .

(٩) التحرير والتنوير ٢٤ / ٩٤ .

ولما كان من المعلوم أنهم يسكتون عند هذا السؤال لما يعلمون من لزوم التناقض إن أجابوا بالباطل، ومن بطلان دينهم إن أجابوا بالحق، فكانت النتيجة قوله:﴿ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)

وإنما أعيد الأمر بالقول ،ولم ينتظم ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ﴾ في جملة الأمر الأول،لأن هذا المأمور بأن يقوله ليس المقصود توجيهه إلى المشركين فإن فيما سبقه مقنعا من قلة الاكتراث بأصنامهم، وإنما المقصود أن يكون هذا القول شعار النبي ﷺ في جميع شؤونه، وفيه حظ للمؤمنين معه حاصل من قوله﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فإعادة فعل " قل" للتنبيه على استقلال هذا الغرض عن الغرض الذي قبله.(٢)

وحسب:يستعمل في معنى الكفاية،ومنه قوله:﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٣)،أي: كافينا .(٤)

لم يرد اسم الله الحسيب فى القرآن إلا وصفاً منكراً وذلك فى ثلاث آيات قال تعالى:﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾(٥)وقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾(٦) ،وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٧)

وهو لفظ مشترك فقد يكون فعيل بمعنى مُفعِل كأليم بمعنى مؤلم ،ومعناه الكفاية ومنه قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) أى:كافيك الله وكافى من اتبعك إلا أن الكفاية تكون بإغناء المحتاج ودفع السوء والمضار عنه ،ويحتمل أن يكون بمعنى محاسبا فيكون فعيل بمعنى مفاعل كالأكيل بمعنى

(١) نظم الدرر ٤٥١/٦ .
(٢) التحرير والتنوير ٩٥/٢٤ .
(٣) سورة آل عمران /١٧٣ .
(٤) المفردات ٢٢٣/١ .
(٥) سورة النساء /٦ .
(٦)سورة النساء /٨٦ .
(٧)سورة الأحزاب /٣٩ .
(٨)سورة الأنفال /٦٤ .

مؤاكل قال تعالى:﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١)،وقد يكون بمعنى حسب يحسب من العدد ومنه قوله تعالى:﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾(٢)(٣)

وقد يكون من الحسب بالتحريك ،بمعنى الشرف والسؤدد ،فالله حسيب أى له الشرف والكمال المطلق (٤).

وحظ العبد من اسم الله الحسيب أن يتعلق قلبه بكفاية الله والاجتزاء به عن كل ما سواه ،وأن يحاسب نفسه فى كل حركة وسكون ،وأن يتصف بالحسب الذى يليق بمثله وهو ملازمته لتقوى مولاه والوثوق بما وعده ربه الحسيب على ذلك فى دنياه وأخراه (٥).

فالحسيب هو الكافي ،فالله ﷻ حسيب كل أحد وكافيه، وهذا وصف لا تتصور حقيقته لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده وليس في الوجود شيء هو وحده كاف لشيء إلا الله ﷻ ، فإنه وحده كاف لكل شيء لا لبعض الأشياء، أي هو وحده كاف ليحصل به وجود الأشياء ويدوم به وجودها ويكمل به وجودها . (٦)

وفى ذلك قال ابن قيم الجوزية فى نونيته:

وهو الحسيب كفاية وحماية والحسبُ كافي العبدَ كلَّ أوان (٧)

وحذف المتعلق في قوله تعالى:﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ لعموم المتعلقات،أي حسبي الله من كل شيء وفي كل حال،والمراد بقوله اعتقاده، ثم تذكره، ثم الإعلان به لتعليم المسلمين وإغاظة المشركين.(٨)

﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ **التوكيل**:أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك، والوكيل فعيل بمعنى المفعول، قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١) أي: اكتف به أن

---

(١)سورة النساء /٦ .
(٢)سورة النبأ/٣٦ .
(٣)الأسنى فى شرح أسماء الحسنى للقرطبى ص ٤٢٢ ،٤٢٣ .
(٤)شرح أسماء الله الحسنى للسنوسى ص٤٣ .
(٥)المرجع نفسه ص٤٣ .
(٦)المقصد الأسنى ص ١١٣ ،١١٤ .
(٧)النونية لابن القيم ص ١٥٠ .
(٨) التحرير والتنوير ٢٤/٩٥ .

يتولى أمرك، ويتوكل لك، والتوكل يقال على وجهين يقال: توكلت لفلان بمعنى: توليت له، ويقال: وكلته فتوكل لي، وتوكلت عليه بمعنى: اعتمدته قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (٢) (٣) .

وجملة ﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يجوز أن تكون مما أمر بأن يقوله تذكراً من النبي ﷺ وتعليما للمسلمين فتكون الجملة تذييلا للتي قبلها؛ لأنها أعم منها باعتبار القائلين لأن ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ يؤول إلى معنى:توكلت على الله،أي حسبي أنا وحسب كل متوكل، ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى خاطب به رسوله ﷺ ولم يأمره بأن يقوله فتكون الجملة تعليلا للأمر بقول:﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ أي اجعل الله حسبك،لأن أهل التوكل يتوكلون على الله دون غيره وهم الرسل والصالحون ،وتقديم المجرور على﴿ يَتَوَكَّلُ﴾ لإفادة الاختصاص لأن أهل التوكل الحقيقيين لا يتوكلون إلا على الله تعالى،وذلك تعريض بالمشركين إذ اعتمدوا في أمورهم على أصنامهم(٤) .

ولله در الإمام القرطبى إذ قال: الوكيل هو القائم المستقل بجميع ما يحتاج إليه الموكل ولذلك أقامه مقامه ، إما لعجزه أو لرفاهية فى نفسه ، فإذا قلت: وكلت أمرى لفلان أشعر ذلك بعجزك عن الأمر ،وتفويضك الأمر إليه لإقامته ،وإذا قلت: وكلت فلاناً فإنما معناه أقمته مقامى ولم يشعر ذلك بالعجز،وإذا قلت توكلت على فلان أشعر ذلك بالاستسلام التام فى الحال وبما لا يبلغه علمك فى المآل وهى إشارة إلى عدم الاستقلال من حيث التقدير ومن حيث التدبير فهو تفويض فى المحسوس والمعقول للوكيل الحق المستقل بجميع ما يحتاج إليه جميع الخلق من الكفاية والوقاية .(٥)

---

(١) سورة النساء /٨١ .
(٢) سورة الطلاق /٣ .
(٣) المفردات ٥٣٢/٢ .
(٤) التحرير والتنوير ٩٦/٢٤ .
(٥) الأسنى ص ٥٠٥ .

الموضع الثاني: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (١)

تأتى هذه الآية الكريمة فى سورة التوبة ، وهى السورة المعنية بذكر المنافقين وكشف أسرارهم وفضح ما انطوت عليه صدورهم من عداوة وبغضاء وشقاق وسوء الأخلاق ٠

وتنتظم الآية فى عقد آيات تبين وصفاً من أوصاف المنافقين تشبعت به نفوسهم،وانطوت عليه صدورهم وظهرت أماراته فى أقوالهم وأفعالهم،وهو بخلهم بعطاء ربهم فمن تلك الآيات﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٢)

وقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٣) حيث إنهم يودون أن الصدقات توزع عليهم فإذا رأوها توزع على غيرهم طعنوا في إعطائها بمطاعن يلقونها في أحاديثهم، ويظهرون أنهم يغارون على مستحقيها، ويشمئزون من صرفها في غير أهلها، وإنما يرومون بذلك أن تقصر عليهم. (٤)

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حُرْقُوص بن زهير أصل الخوارج، فقال اعدل فينا يا رسول الله، فقال:ويلك،ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي

(١) سورة التوبة / ٥٩ ٠
(٢) سورة التوبة /٧٥ :٧٧ ٠
(٣) سورة التوبة /٥٨، ٥٩ ٠
(٤) التحرير والتنوير ١٢٥/١٠ ٠

﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الآية. (١)

فبينت الآيات الكريمات أن من المنافقين من يلمز النبى ﷺ فى توزيع الصدقات **واللمز**: الاغتياب وتتبع المعاب،والفرق بينه وبين الهمز أن الهمز أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع أو يحثه على أمر قبيح أي يغريه به واللمز أجهر من الهمز وفي القرآن ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (٢) ولم يقل لمزات ؛ لأن مكايدة الشيطان خفية، والمشهور عند الناس إن اللمز العيب سراً والهمز العيب بكسر العين (٣)

﴿ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾جمع صدقة من الصدق يسمى بها عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة ؛ لأن بها يظهر صدقه في العبودية .(٤) ،فيراد بالصّدَقة: ما يُخرجه الإنسان من ماله على وجه القُرْبة؛ كالزَّكاة لكن الصّدقة فى العرف تقال للمتطوَّع به، والزكاة للواجبو وقيل: سمّى الواجب صدقة إذا تحرَّى صاحبُه الصّدق فى فعله .(٥)

ودل الشرطان فى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم، وإن لمزهم الرسول إنما هو لشرههم في تحصيل الدنيا ومحبة المال، وأنّ رضاهم وسخطهم إنما متعلقه العطاء. والظاهر حصول مطلق الإعطاء أو نفيه.

ومفعول ﴿ رضوا ﴾ محذوف أي: رضوا ما أعطوه. وليس المعنى رضوا عن الرسول لأنهم منافقون، ولأنّ رضاهم وسخطهم لم يكن لأجل الدين، بل للدنيا. (٦)

---

(١)أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ،باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه حديث (٦٥٣٤) ،وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٣٨ ،٢٣٩ .

(٢) سورة المؤمنون /٩٧ .

(٣) المفردات ٣٤٦/٢ ،الفروق اللغوية ص ٥٥٩ .

(٤) البحر المحيط ٣٤/٥

(٥) بصائر ذوى التمييز ٩٩٩/١ .

(٦) التحرير والتنوير ١٢٦/١٠ .

ودلت"إِذَا" الفجائية على أن سخطهم أمر يفاجئ العاقل حين يشهده لأنه يكون في غير مظنة سخط، وشأن الأمور المفاجئة أن تكون غريبة في بابها. (١)

ثم أعقب الله صورة المنافقين القاتمة التى كشفت عن نفوسهم الطامعة بصورة أهل الإيمان أصحاب النفوس القانعة ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾

وصدرت الآية بـ " لو" ، وجوابها محذوف، تقديره: لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم،، وترك الجواب في هذا المعرض أبلغ لتهذب النفس فى تقديره كل مبلغ.(٢)

و" رضي" إذا تعدى إلى المفعول دل على اختيار المرضي، وإذا عدي بالباء دل على أنه صار راضيا بسبب ما دخلت عليه الباء،كقوله:﴿ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾(٣)،وإذا عدي بـ"عن" فمعناه أنه تجاوز عن تقصيره أو عن ذنبه ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٤)(٥)

فدل تعدى " رضى " إلى المفعول على اختيارهم ما آتاهم الله ورسوله دون النظر إلى قلته أو كثرته ٠

والمراد بإيتاء الله: ما عينه الله لهم، وإيتاء الرسول ﷺ إعطاؤه المال لمن يرى أن يعطيه مما جعل الله له التصرف فيه، ومنه إعطاؤه من جعل الله لهم الحق في الصدقات ،ويجوز أن يكون إيتاء الله عين إيتاء الرسول ﷺ وإنما ذكر إيتاء الله للإشارة إلى أن ما عينه لهم الرسول ﷺ هو ما عينه الله لهم ٠ (٦)

ثم أتبع الله ذلك ببيان قولهم الدال على رضاهم بإيتاء ربهم ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ ولم يقل الله تعالى عنهم أنهم يقولون "حسبنا ما أتانا الله "، بل إنه ﷻ يقول عنهم:﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ أى: إن الله كافينا،وفيه من معانى

(١) روح البيان ٣٤٣/٣ ٠
(٢) مفاتيح الغيب ٧٧/١٦ ٠
(٣) سورة التوبة /٣٨ ٠
(٤) سورة التوبة /٩٦ ٠
(٥) التحرير والتنوير ١٢٧/١٠ ٠
(٦) التحرير والتنوير ١٢٧/١٠ ٠

التفويض والتوكل على الله ورجاء ما عنده ما لا يدركه إلا القلوب المؤمنة المتبتلة الضارعة له ﷻ. (١)

وجملة ﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ بيان لجملة ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ لأن الكفاية تقتضي تعهد المكفي بالعوائد ودفع الحاجة،والفضل زيادة الخير والمنافع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (٢)والفضل هنا المعطى من إطلاق المصدر وإرادة المفعول، بقرينة من التبعيضية، ولو جعلت "مِنْ" ابتدائية لصحت إرادة معنى المصدر ،وجملة ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ تعليل، أي لأننا راغبون فضله،وتقديم المجرور لإفادة القصر، أي إلى الله راغبون لا إلى غيره(٣)

والرغبة: الكراهة، والإرادة ،ويتميز المعنيان بحرف الجر ،فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه، قال تعالى:﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ وإذ قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (٤)(٥)

ولله در الإمام الفخر إذ قال: الآية تدل على أن من طلب الدنيا آل أمره في

الدين إلى النفاق وأما من طلب الدنيا بقدر ما أذن الله فيه وكان غرضه من الدنيا أن يتوسل إلى مصالح الدين فهذا هو الطريق الحق ،والأصل في هذا الباب أن يكون راضياً بقضاء الله ألا ترى أنه قال ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ فذكر فيه **أربع مراتب:**

المرتبة الأولى: الرضا بما آتاهم الله ورسولهﷺ ؛ لعلمه بأنه تعالى حكيم منزه عن العبث والخطأ ، عليم بعواقب الأمور ٠

---

(١)زهرة التفاسير ٣٣٤٢/١ ٠

(٢)سورة غافر /٦١ ٠

(٣)التحرير والتنوير ١٢٧/١٠ ٠

(٤)سورة البقرة/١٣٠ ٠

(٥)المفردات ٤٠٧/١ ،عمدة الحفاظ ٩٩/٢ ٠

والمرتبة الثانية:أن يظهر آثار ذلك الرضا على لسانهم وهو قوله ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ .

والمرتبة الثالثة:وهي أن الإنسان إذا لم يبلغ إلى تلك الدرجة العالية التي عندها يقول ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ نزل منها إلى مرتبة أخرى وهي أن يقول ﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ إما في الدنيا إن اقتضاه التقدير ،وإما في الآخرة وهي أولى وأفضل .

والمرتبة الرابعة: أن يقول ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ ﴾ فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال ، وإنما المراد إما اكتساب سعادات الآخرة ،وإما الاستغراق في العبودية على ما دل لفظ الآية عليه فإنه قال ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ ﴾ ولم يقل إنا إلى ثواب الله راغبون .[1]

(١)مفاتيح الغيب ١٦ /٧٩، ٨٠ .

الموضع الثالث: قال تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١)

اختلف فى مكية الآيتين أو مدنيتهما،فذهب ثلة من المفسرين إلى مكيتهما (٢) ولا يوجد مستند لهذا القول،ولعل ما تدل عليه الآيتان من حرص النبى ﷺ على قومه ورحمته بهم هو الدافع إلى القول بمكيتها،والصحيح أن الآيتين مدنيتان لما ورد أنهما آخر القرآن نزولاً فى قول أبى بن كعب(٣)رضي الله عنه كما أن دعوى مكيتهما قائمة على موضوع الآيتين دون الروايات وهو منهج غير سليم فهناك من الآيات المدنية باتفاق ما يشابه الآيتين فى الموضوع من بيان حرص النبى على قومه ورأفته بهم كقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)(٥) .

ختمت سورة التوبة مع ما فيها من شدة على الكافرين وكشف لأستار النفاق وفضح لما انطوت عليه نفوس المنافقين بهاتين الآيتين الكريمتين وذلك **لوجوه:**

---

(١) سورة التوبة /٥٨، ٥٩ .

(٢) منهم مقاتل بن سليمان ،ابن عطية ، وابن الجوزى . ينظر تفسير مقاتل ٧٩/٢ زاد المسير ٣٨٨/٣ ،المحرر الوجيز ٣/٣ .

(٣) عن ابن عباس عن أبى رضي الله عنه قال :"آخر آية نزلت :﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب التفسير ، سورة التوبة ٣٦٨/٢ حديث (٣٢٩٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ، وابن جرير فى تفسيره ١٤ /٥٨٨ ، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٩/٧ وقال :فيه على بن زيد بن جدعان وهو ثقة سيىء الحفظ وبقية رجاله ثقات .

قلت :الآخرية فى رواية أبى بن كعب آخرية مقيدة وليست مطلقة فتحمل أنها آخر آية نزلت فى سورة التوبة

(٤) سورة آل عمران /١٦٤ .

(٥) المكى والمدنى فى القران الكريم د عبد الرزاق حسين أحمد ص ٥٨٠ :٥٨٤ .

منها:أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يبلغ في هذه السورة تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو أن هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم، وأيضاً فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم .[1]

ومنها:أنها جاءت فى ختام سورة كلها فى النفاق والمنافقين ؛ ليتنبه القارئ للقرآن الكريم إلى أن القتال وكشف النفاق رحمة للعالمين. [2]

وفى ربط رائع لختام سورة التوبة بأولها قال الإمام السيوطي:افتتحت بقوله ﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ﴾ [3]، وختمت بقوله:﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [4].

قلت: كلام الإمام السيوطى نفيس إذ افتتحت السورة ببيان أن المشركين عند توليهم لا يعجزون الله ،وختمت بأن ذلك لا يضر نبيه ﷺ شيئاً إذ جعل ربه ﷻ حسيبه ووكيله .

وصدرت الآية الأولى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ بحرفي التأكيد وهما اللام و" قد" مع كون مضمونها مما لا يتطرق إليه الإنكار لقصد الاهتمام بهذه الجملة، ولأن فيما تضمنته ما ينكره المنافقون وهو كونه رسولاً من الله؛ ولأن في هذا التأكيد ما يجعل المخاطبين به منزلين منزلة المنكرين لمجيئه من حيث إنهم لم ينفعوا أنفسهم بهذا المجيء ولأن في هذا التأكيد تسجيلاً عليهم مراداً به الإيماء إلى اقتراب الرحيل؛ لأنه لما أعيد

(١)مفاتيح الغيب ١٦/ ١٨٦ .
(٢)زهرة التفاسير ١/٣٤٩٤
(٣)سورة التوبة /٣ .
(٤) مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع للإمام السيوطى تحقيق د /محمد يوسف الشربجى ،بحث منشور بمجلة الأحمدية العدد الرابع ص ٩٣ سنة ١٤٢٠ هـ .

الإخبار بمجيئه وهو حاصل منذ أعوام طويلة كان ذلك كناية عن اقتراب انتهائه[١].

واختلف فى تعيين المخاطب بالآية الكريمة ،فجمهور المفسرين على أن المخاطب العرب على سبيل تعداد النعم عليهم والمن عليهم بكونه جاءهم رسول من جنسهم، أو من نسبهم عربياً قرشياً يبلغهم عن الله ، ويحتمل أن يكون الخطاب لمن بحضرته من أهل الملل والنحل، ويحتمل أن يكون خطاباً لبني آدم والمعنى: أنه لم يكن من غير جنس بني آدم،لما في ذلك من التنافر بين الأجناس كقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[٢][٣]

قلت:يبدو لى أن الاختلاف فى تعيين المخاطب فى الآية الكريمة يرجع إلى الاختلاف فى مكية الآية أو مدنيتها ،وإن كنت أميل أن المخاطب هم البشر لما تقدم من روايات فى مدنية السورة ،وأن السورة من أواخر سور القرآن نزولاً وقد دخل الإسلام حينذاك العرب وغيرهم ٠

ووصف الله نبيه ﷺ فى هذه الآية **بخمس صفات:**

الصفة الأولى: قوله ﷻ ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أى من جنس البشر ليألفوه ،أو من العرب، والمقصود منه ترغيبهم في نصرته والقيام بخدمته كأنه قيل لهم: كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لعزكم ولفخركم لأنه منكم ومن نسبكم ٠[٤]

وقرىء "من أَنْفَسِكُم " بفتح الفاء[٥] ،والمعنى: من أشرفكم وأعزكم، وذلك من النفاسة، وهو راجع لمعنى النفس، فإنها أعز الأشياء. [٦]

---

(١)التحرير والتنوير ٣٣٨/١٠ ٠
(٢)سورة الأنعام /٩ ٠
(٣) معانى القرآن للزجاج ٢ /٤٧٧ ، البحر المحيط ٩٨/٥ ،المحرر الوجيز ١١٤/٣ ، التفسير الوسيط ٦ /٤٣٢ ٠
(٤) مفاتيح الغيب ١٦ /١٨٨ ٠
(٥)قرأ ابن محيصن بفتح الفاء ،وقرأ جمهور القراء بضمها٠ إتحاف فضلاء البشر١٠١/٢ ٠
(٦)البحر المحيط ١١٣/٥ ٠

الصفة الثانية:قوله ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ **العزيز** من العزة وهى حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب من قولهم: أرض عزاز أى: صُلبة ويقال: عز علي كذا: صعب، ومنه قوله تعالى قال:﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾أي:صعب [١]

والعنت: من المعانتة كالمعاندة لكن المعانتة أبلغ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك، ولهذا يقال: عنت فلان: إذا وقع في أمر يخاف منه التلف.[٢]

فمعنى قوله:﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾شاق عليه حزنكم وشقاؤكم، وهذا كقوله ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[٣]وذكر هذا في صفة الرسول عليه السلام يفيد أن هذا خلق له فيكون أثر ظهوره الرفق بالأمة والحذر مما يلقي بهم إلى العذاب في الدنيا والآخرة، ثم إن ذلك يومي إلى أن شرعه جاء مناسبا لخلقه فانتفى عنه الحرج والعسر قال ﷻ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [٤] وقال:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [٥][٦] .

وفى العدول عن الإتيان بلفظ العنت الذي هو المصدر الصريح إلى الإتيان بالفعل مع "مَا" المصدرية نكتة وهي إفادة أنه قد عز عليه عنتهم الحاصل في الزمن الذي مضى، وذلك بما لقوه من قتل قومهم، ومن الأسر في الغزوات ومن قوارع الوعيد ؛ لتكون هذه الآية تنبيهاً على أن ما لقوه من الشدة إنما هو لاستصلاح حالهم [٧].

والصفة الثالثة: قوله ﷻ:﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ و**الحرص**:فرط الشره،وفرط الإرادة قال ﷻ: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ [٨]أي: تفرط إرادتك في هدايتهم.[٩]

---

(١)المفردات ٢/ ٩١ ،عمدة الحفاظ ٣/ ٦٧، ٦٨ .
(٢)المفردات ٢ /١٢٨ ،الغريبين فى القران والحديث ٤/ ١٣٣٢، ١٣٣٣ .
(٣)سورة الشعراء /٣ .
(٤) سورة البقرة /١٨٥ .
(٥)سورة الحج /٧٨ .
(٦)التحرير والتنوير ٦/ ٤٩٠ .
(٧)المرجع السابق ٦ /٤٩٠ .
(٨)سورة النحل /٣٧ .
(٩)المفردات ١/ ٢٢٤ .

والحرص يمتنع أن يكون متعلقاً بذواتهم بل المراد حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة .[١]

والصفة الرابعة والخامسة:قوله تعالى:﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفيهما من مدح النبى ﷺ ما فيهما من حسن وجمال ،ومن ثم قيل فى ذلك[٢]:لم يجمع الله لنبي بين اسمين من أسمائه إلا لنبينا ﷺ، فإنه قال: بالمؤمنين رءوف رحيم،وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٣]

وجاء وصف النبى ﷺ بالصفتين بصيغة المبالغة ،وتعلقت الصفتان بالمؤمنين إلا أنه اختلف فى تعيين ما بين صفتى الرأفة والرحمة من فرق ولعل أدقها أن الرأفة أقوى من الرحمة في الكيفية؛ لأنها عبارة عن إيصال النعم صافية عن الألم، والرحمة: إيصال النعم مطلقا وقد يكون مع الكراهة والألم .[٤]

قلت: ولعل هذا ما يفهم من النهى عن الرأفة على المحدود فى الزنا﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥] مع أن فى إقامة الحد عليه رحمة به.

وأفاد تقديم " بالمؤمنين " على وصفه ﷺ بـ " رءوف رحيم " الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول:إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط[٦].

---

(١)التحرير والتنوير ٦ /٤٩٠ .

(٢) ذكره النيسابورى فى تفسيره ٤ /٢٢٤ عن ابن عباس ،و نسب إلى الحسين بن فضل كما فى البحر المحيط ٥ /٩٨ ، الجامع لأحكام القران ٣٠٢/٨ تفسير الخازن ٣ /١٧٢ ولم أقف على سند للقولين فيما تحت يدى ،فالله أعلم بهما .

(٣)سورة البقرة /١٤٣ .

(٤)الفروق اللغوية ٢٤٧/١ .

(٥)سورة النور /٢ .

(٦)مفاتيح الغيب ١٨٨/١٦ .

ثم صدرت الآية الثانية ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ بالفاء لربط هذه الآية بسابقتها، ترتيب أمر على أمر، يعد نقيضاً له،فإن كون الرسول من أنفسهم ، وأنه عزيز عليه عنتهم، وأنه رءوف رحيم بهم كان يوجب عليهم أن يطيعوه، مع هذا إن تولوا،أى: انصرفوا، وهم معرضون، وقد شبهت حال الإعراض الفكرى، بحال التولى الحسى لكمال معارضتهم للشرع ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ فعل شرط جوابه ﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾أى: إن لم يجيبوك فقل يكفينى أن يكون الله معى، وهو صاحب الملك كله،لا إله إلا هو، فلا أعبد سواه.(١)

وفى قوله:﴿ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ التفات من خطاب العرب إلى خطاب النبيﷺ فكان مقتضى الظاهر أن يخاطَبُوا هُم به أى: فإن توليتم عنه فحسبه الله وقل حسبي الله ، فجيء بهذا النظم البديع الإيجاز مع ما فيه من براعة الإيماء إلى عدم تأهلهم لخطاب الله على تقدير حالة توليهم ،ومعنى الأمر بأن يقول:" حسبي الله " أن يقول ذلك قولاً ناشئاً عن عقد القلب عليه،وهذه الآية تفيد التنويه بهذه الكلمة المباركة لأنه أمر بأن يقول هذه الكلمة بعيْنِها ولم يؤمَر بمجرد التوكل كما أمر في قوله﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾(٢)ولا أخبر بأن الله حسبه مجردَ إخبار كما في قوله﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (٣)(٤)

ثم أعقب ذلك بالثناء عليهﷻ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فوجب أن يكون لا مبدىء لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات إلا هو وإذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة وأمرني بهذا التبليغ كانت النصرة عليه والمعونة مرتقبة منه ثم قال ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ وهو يفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه.(٥)

﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ **والعرش:** سقف المخلوقات كلها من السموات والأرض وما بينهما، وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، فيدخل فيه ما دونه إذا ذكر،إذ

(١) زهرة التفاسير ٣٤٩٧/١ .
(٢) سورة النمل / ٧٩ .
(٣)سورة الأنفال / ٦٢ .
(٤)التحرير والتنوير ٤٩٢/٦ .
(٥) مقاتيح الغيب ١٨٩/١٦ .

عليه تدبير أمور الخلق،كما قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ (١)(٢)

وفى قوله:﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾قراءتان الأولى بالجر صفة للعرش ،والثانية بالضم نعتاً لرب . (٣)

قلت: ربطت السنة بين ما جاء فى ختام هذه الآية ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

وكشف الكرب وتفريج الهم فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٤)

فهذا الدعاء فى حقيقته ثناء يعقبه الدعاء ،أو من قبيل الاشتغال بذكر الله عن مسألته ،وصدر بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية .(٥)

والخلاصة:

نخلص مما سبق من تفسير آيات الحسبلة المندرجة تحت هذا المبحث بأمور جليلية هذا بيانها:

أولاً: الحسبلة بلفظها ومعناها مطلب شرعى أمر به النبى ﷺ شأنه فى ذلك شأن من سبقه من الأنبياء والمرسلين الذين لقوا من أقوامهم العنت وتجرعوا على أيديهم كأس الألم فلم يجدوا إلا ربهم ملجأ يستنصرونه ويلوذون بجنابه فنوح عليه السلام قابل إعراض قومه عن دعوته بتوكله على ربه غير مبال بجمع أمرهم وشركائهم﴿وَٱتْلُ

(١) سورة يونس /٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤ /٢٤٣ ،التفسير المنير ١١ /٩١ .
(٣) الأولى قراءة ابن محيصن ،والثانية قراءة الجمهور . إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠١ .
(٤)أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب حديث(٦٣٤٥) والإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب دعاء الكرب حديث(٧٠٩٧)
(٥) فتح البارى ١١ /١٤٦ .

عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1] والقرآن يصور لنا ما دار بين هود عليه السلام وقومه من موقف يشبه فى أحداثه ما جاء فى آية الحسبلة فى سورة الزمر ٠٠ ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]

ثانيا: حوت آى الحسبلة المندرجة تحت هذا المبحث جملة من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأفعاله التى لا ينكرها إلا معاند مكابر ٠٠ فسبحانه خلق السماوات والأرض إن أراد بخلقه ضرا لا يكشفه سواه ٠٠ وإن أرادهم برحمة فلا ممسك لها ٠٠ متفرد بالألوهية ٠٠ رب العرش العظيم ،ومن ثم ففى ذكر هذه الأمور فى آى الحسبلة إشارة إلى أن المؤمن إذا علم صفات خالقه ﷻ واستقرت فى قلبه انبعثت فى نفسه قوة التوكل عليه ﷻ وتفويض الأمر إليه والرضا به ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ ٠

(١) سورة يونس /٧١ ٠
(٢) سورة هود /٥٣: ٥٦ ٠

المبحث الثانى

اللّه حسب النبى ﷺ والمؤمنين

تندرج تحت هذا المبحث ثلاث آيات كريمات تتعاضد فى إبراز حقيقة كبرى ومنة عظمى من المنعم ﷻ على نبيه ﷺ والمؤمنين وهى أن الله حسبه وحسب من اتبعه من المؤمنين إذ يكفيهم شر المعاندين إذ أرادوا خداعهم ،أو جمعوا الجموع لقتالهم ،وفيما يلى التفصيل بعد الإجمال:

الموضـــع الأول:قال ﷻ :﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ .(١)

لما أمر ﷻ في الآية المتقدمة ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (٢) بالصلح، ذكر في هذه الآية حكماً من أحكام الصلح وهو أنه إن أظهر الأعداء لنا الصلح على سبيل المخادعة، وجب قبول ذلك الصلح ؛لأن الحكم يبنى على الظاهر لأن الصلح لا يكون أقوى حالاً من الإيمان، فلما بُني أمر الإيمان على الظاهر لا على الباطن، فههنا أولى(٣).

الضمير في قوله:﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ ﴾ عائد على الكفار الذين قيل فيهم ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ ﴾(٤).

وتعدية فعل ﴿ يَخۡدَعُوكَ ﴾إلى ضمير النبي ﷺ باعتبار كونه ولي أمر المسلمين والمقصود: وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، وقد بدل الأسلوب إلى خطاب النبي ﷺ ليتوصل بذلك إلى ذكر نصره من أول يوم حين دعا إلى الله وهو وحده مخالفا أمة كاملة. (٥)

---

(١) سورة الأنفال /٦٢ .
(٢) سورة الأنفال /٦١ .
(٣) مفاتيح الغيب ٥٠٣/١٥ .
(٤) المحرر الوجيز ٦٢٨/٢ .
(٥) التحرير والتنوير ١٥١/٩ .

وأصل **الخداع:**إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه[١] . فإن **قيل:**أليس فى قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [٢] أي أظهر نقض ذلك العهد، وهذا يناقض ما ذكره في هذه الآية ؟

قلنا: قوله:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ محمول على ما إذا تأكد ذلك الخوف بأمارات قوية دالة عليها، وتحمل هذه المخادعة على ما إذا حصل في قلوبهم نوع نفاق وتزوير ،إلا أنه لم تظهر أمارات تدل على كونهم قاصدين للشر وإثارة الفتنة،بل كان الظاهر من أحوالهم الثبات على المسألة وترك المنازعة .[٣]

وفى تعقيب لطيف للشيخ أبى زهرة على هذه الآية قال: إذا جنح العدو للسلم كان على المؤمن أن يبادر إلى المجاوبة على السلم بسلم غير متردد ولا متوان لذلك قال تعالى﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ فهذا النص فيه أمر بمنع التردد، لشك يقوم فى نية الصلح أو السلم، إذ السلم خير كله، ولا يمنع الخير لظن الخديعة، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ ﴾ جعل سبحانه فعل الشرط إرادة الخديعة لا الخديعة نفسها وعبر فى حرف الشرط بـ " إن " الدالة على الشك، لبيان أنه يجب إبعاد إرادة الخديعة ،والخديعة نفسها ؛ليقدم على السلم بقلب سليم، وإرادة معتزمة مع اليقظة والحذر، وجواب الشرط هو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ أى أن الله تعالى كافيك وعاصمك من الناس بقوته وقدرته القاهرة الظاهرة وقد أكد الله تعالى عصمته لنبيه وأنه عاصمه من الناس بـ " إن " وبتعريف الطرفين، وهو يفيد قصر العصمة على الله تعالى وحده، أى أنه وحده هو العاصم لك من الناس[٤].

وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ استئناف مسوق لتعليل كفايته تعالى إياهﷺ [٥].

---

(١) المفردات ٢٨٩/١ .
(٢) سورة الأنفال /٥٨ .
(٣) مفاتيح الغيب ٥٠٣/١٥ .
(٤) زهرة التفاسير ٣١٧٩/١ .
(٥) إرشاد العقل السليم ٣٣/٤ ، روح المعانى ١٠ /٢٨ .

فإن **قيل:** لما قال:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ ﴾فأي حاجة مع نصره إلى المؤمنين حتَّى قال: ﴿ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ؟

فالجوابُ: أنَّ التَّأييدَ ليس إلا من الله، لكنه على **قسمين:**

أحدهما: ما يحصل من غير واسطة أسباب معتادة وهو المراد بقوله:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ ﴾ ، **والثاني:** ما يحصلُ بواسطة أسباب معتادة وهو المرادُ بقوله: ﴿ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ عطف على﴿ بِنَصۡرِهِۦ ﴾وأعيد حرف الجر بعد واو العطف لدفع توهم أن يكون معطوفاً على اسم الجلالة فيوهم أن المعنى ونصر المؤمنين مع أن المقصود أن وجود المؤمنين تأييد من الله لرسوله إذ وفقهم لاتباعه فشرح صدره بمشاهدة نجاح دعوته وتزايد أمته ،ولكون المؤمنين جيشا ثابتي الجنان فجعل المؤمنون بذاتهم تأييدا[2].

(١) اللباب فى علوم الكتاب ٩ /٥٥٩ .

(٢) التحرير والتنوير ١٥١/٩ .

الموضع الثانى قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [١]

موقع هذه الآية بعد التي قبلها كامل الاتساق والانتظام، فإنه تعالى لما أخبره ﷺ بأنه حسبه وكافيه، وبين ذلك بأنه أيده بنصره فيما مضى وبالمؤمنين،فقد صار للمؤمنين حظ في كفاية الله ﷻ رسوله ﷺ، فكانت الآية الكريمة كالفذلكة للجملة التي قبلها، وتخصيص النبي بهذه الكفاية لتشريف مقامه بأن الله يكفي الأمة لأجله.[٢]

فإن قيل: ما فى هذه الآية مكرّر ،**أجيب:** بأنه تعالى لما وعده بالنصر عند مخادعة الأعداء﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾[٣] وعده بالنصر والظفر في هذه الآية مطلقاً على جميع التقديرات فلا يلزم حصول التكرار؛لأنّ المعنى في الآية الأولى: إن أرادوا خداعك كفاك الله تعالى أمرهم فهذه كفاية خاصة،والمعنى في هذه الآية عام في كل ما يحتاج إليه فى كل حال [٤] .

وصدرت الآية الكريمة بنداء النبي الكريم ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ بالياء التى تكون للبعيد، لبعد الشرف فى موضوع النداء وهو الاعتماد على الله والالتقاء بحمايته، وبكلاءته سبحانه[٥].

وتصديرها بحرفي النداء والتنبيه ؛للنداء والتنبيه على الاعتناء بمضمونها وإيراده ﷺ بعنوان النبوة للإشعار بعلية الحكم[٦] .

قلت:وهذا ما يظهر من النداء بالنبوة دون الرسالة أو غيرها من الأوصاف

فالنبى من النبوة،أي: الرفعة،وسمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس.[١]

---

(١) سورة الأنفال /٦٤ .
(٢) التحرير والتنوير ١٥٣/٩ .
(٣) سورة الأنفال /٦٢.
(٤) السراج المنير ٤٥٨/١ ،الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٨ .
(٥) زهرة التفاسير ٣١٨٢/١ .
(٦) روح المعانى ٣٠/١٠ .

اختلف فى تعيين مكية الآية أو مدنيتها تبعاً لما ورد من روايات فى سبب نزولها ،مما ترتب عليه الاختلاف فى تعين المراد بقوله:﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فورد القول بمكيتها عن ابن العربى[٢] مستنداً إلى ما روى أنها نزلت فى إسلام عمر ﷺ [٣]، والحق أنها مدنية فالرواية ضعيفة ،كما أن الثابت أن عدد المؤمنين المهاجرين إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً سوى النساء والأبناء وإسلام عمر ﷺ كان بعد الهجرة إلى الحبشة[٤]، ولو سلمنا نزولها فى عمر ﷺ لكان هذا السبب يوحى بأن معنى الآية حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين كأمثال عمر ﷺ وهذا التفسير إن جاز نحوياً إلا أنه ليس بجائز كتفسير معتمد للآية فمما قرر فى القواعد التفسيرية أن المعنى الشرعى والإعراب إذا تجاذبا النص فالمعول عليه هو المعنى الشرعى[٥] ، فغاية ما فى الأمر أن معنى الآية يوحى بالتمهيد لأمر المؤمنين بالقتال والتوكل على الله فى ذلك[٦] .

ومن ثم ففى قوله تعالى:﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **تقديران:**

أحدهما:أن تكون الواو عاطفة لـ "مَنْ"على الكاف المجرورة،ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار،على المذهب المختار وشُبه المنع منه واهية

والثاني: أن تكون "الواو" واو مع، وتكون "من " في محل نصب عطفاً على الموضع فإن حسبك في معنى كافيك، أي: الله يكفيك، ويكفي من اتبعك، كما يقول العرب: حسبك وزيداً درهم وهذا أصح التقديرين.

---

(١)المفردات ٤٠٥/٢ .

(٢) الناسخ والمنسوخ ٢٢٤/٢ .

(٣) اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٦٠/٢ رقم (١٢٤٧٠) وذكره الهيثمى فى المجمع (٣١/٧) وقال :فيه إسحاق بن بشير الكاهلى وهو كذاب .

(٤)الطبقات الكبرى ٢٠٤/١ ،تفسير ابن كثير ٨٧/٤ .

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين ٦٣٥/٢ : ٦٤٤ .

(٦) المكى والمدنى ٥٦١/٢ :٥٦٧ .

وفيها تقدير **ثالث**، أن تكون " من " في موضع رفع بالابتداء، أي: ومن اتبعك من المؤمنين،فحسبهم الله ،وفيها تقدير**رابع**، وهو خطأ من جهة المعنى، وهو أن يكون "من" في موضع رفع عطفاً على اسم الله،ويكون المعنى:حسبك الله وأتباعك

وهذا، وإن قال به بعض الناس(١)، فهو خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه، فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٢) ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده،حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ (٣) ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولهم، ومدح الرب تعالى لهم بذلك، فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك ؟ (٤)

وقوله:﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يشير إلى حكمة العصمة والكفاية وهو كونهم الذين اتبعوا النبي ﷺ في دعوته، ونصرته، وأنهم بذلك قوة الرسالة فهم قوة الدين الحق،وكان الله تعالى عاصمهم كما وعد نبيه بأنه عاصمه من الناس كما قال ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ (٥)(٦)

الموضع الثالث:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ (٧)

---

(١) معانى القرآن للفراء ٤١٧/١ ، إعراب القران للنحاس ٢ /١٩٥ .
(٢) سورة الأنفال /٦٢ .
(٣) سورة آل عمران /١٧٣.
(٤)زاد المعاد ١ /٣٦ .
(٥)سورة المائدة /٦٧ .
(٦)زهرة التفاسير ٣١٨٣/١ .
(٧) سورة آل عمران /١٧٣، ١٧٤ .

بعد أن مدح الله المؤمنين فى الآيات السابقة على حسن استجابتهم لله ﷻ ولرسوله الكريم ﷺ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] أتبعه بالثناء عليهم لربط جأشهم وحسن توكلهم على ربهم.

والصحيح فى **سبب نزول** الآيات ما جاء عن قتادة قال، انطلق رسول الله ﷺ وعصابةٌ من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم، حتى كانوا بذي الحليفة، فجعل الأعراب والناسُ يأتون عليهم فيقولون لهم: هذا أبوسفيان مائلٌ عليكم بالناس! فقالوا: "حسبنا الله ونعم الوكيل". فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [2]

قلت: مع أن رواية سبب النزول مرسلة إلا أنه يشهد بصحتها ما جاء عن عائشة رضى الله عنها فى قوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ قالت لعروة يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبوبكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: من يذهب في إثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا ، كان فيهم أبو بكر والزبير .[3]

وهذا ما عليه جمهور المفسرين أنها نزلت فى شأن حمراء الأسد ، قال الإمام ابن عطية: وشذ مجاهد فقال إن هذه الآية إنما نزلت في خروج النبي ﷺإلى بدر الصغرى[4]والصواب ما قاله الجمهور إن هذه الآية نزلت في غزوة حمراء الأسد [5]

(١) سورة آل عمران /١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٧/٤١٠ ،والواحدى فى أسباب النزول ص ١٢٤ وقال محققه ، مرسل إسناده حسن، ويشهد له: ما أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وإسناده صحيح.

(٣)أخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب﴿الذين استجابوا لله والرسول ﴾ حديث (٣٨٤٩)

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره ٧ /٤٠٩ :٤١٢ ،وابن أبى حاتم ٣ /٨١٩ ،وذكره ابن حجر فى العجاب ٢ /٧٩٥ ونسبه إلى الفريابى فى تفسيره .

(٥) المحرر الوجيز ١/٥٧٨ .

وتصدر الآية الكريمة بقول الحق ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ فالمراد بقوله:﴿ الَّذِينَ﴾ من تقدم ذكرهم وهم الذين استجابوا لله والرسول، وفي تعيين المراد بلفظة " الناس " الأولى فى قوله:﴿ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ **وجوه:**

الأول: أن هذا القائل هو نعيم بن مسعود [١] ،وإنما جاز إطلاق لفظ الناس على الإنسان الواحد ؛لأنه إذا قال الواحد قولا وله أتباع يقولون مثل قوله أو يرضون بقوله حسن حينئذ إضافة ذلك الفعل إلى الكل قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٢] فكذا ههنا يجوز أن يضاف القول إلى الجماعة الراضين بقول ذلك الواحد ٠

الثاني: أن ركبا من عبد القيس مروا بأبي سفيان فدسهم إلى المسلمين ليجبنوهم وضمن لهم عليه جعلاً٠ [٣]

الثالث: أن المنافقين قالوا للمسلمين حين تجهزوا للمسير لميعاد أبي سفيان:القوم قد أتوكم في دياركم فقتلوا الأكثرين منكم فإن ذهبتم إليهم لم يبق منكم أحد [٤][٥]

قلت: بإنعام نظر فيما ورد من روايات أسباب النزول يتبين أن المراد بلفظة الناس الأولى فى قوله:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ نعيم بن مسعود هو الأولى بالقبول ،ومما يقوى أن المراد به واحد قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٦] فوقعت الإشارة بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى جمعاً لقال: إنما أولئكم الشيطان. فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ منه بلفظه.[٧]

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات ٥٩/٢ ،٦٠ ،والواقدى فى مغازيه ٤٨٠/٢ :٤٨٣ ،والبيهقى فى الدلائل ٤٤٥/٣ ،٤٤٦ ٠

(٢) سورة البقرة /٧٢ ٠

(٣) رواه ابن جرير فى تفسيره ٧ /٤٠٩ مرسلاً عن عبدالله بن أبى بكر بن حزم ٠

(٤) رواه ابن جرير فى تفسيره ٤٠٩/٧ مرسلاً عن السدى ،وذكره ابن حجر فى العجاب ٧٩٤/٢ ٠

(٥) مفاتيح الغيب ٨١/٩ ٠

(٦)سورة آل عمران /١٧٥ ٠

(٧) الإتقان ٤/ ١٤١٦ ،أضواء البيان ٢٧١/١ ٠

ثم ذكر الله مقولة ذلك المثبط لأهل الإيمان ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ أى إن أبا سفيان ومن معه جمعوا ،وحذف مفعول ﴿ جَمَعُواْ﴾ فلم يقل:جمعوا جيشاً كبيراً أو جمعوا أنفسهم وعددهم وأحلافهم وذلك ليذهب الخيال كل مذهب فى مقدار ما جمعوا من رجال وسلاح وأموال[١] ٠

وآثر ذكر لفظة ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ دون "خافوهم " إذ إن الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه [٢] وكأن فى ذلك دعوة للمؤمنين أن يستحضروا قوة المشركين وبطشهم ،وقوة جمعهم ومن معهم من أحلافهم ٠

ولما تقدّم من المثبطين إخبار بأنّ قريشاً قد جمعوا للمؤمنين، وأمر للمؤمنين بخشيتهم لهذا الجمع الذي جمعوه، ترتب على هذا القول شيئان: قلبي وهو زيادة الإيمان، وهو مقابل للأمر بالخشية. فأخبر بحصول طمأنينة في القلب تقابل الخشية، وأخبر بعد بما يقابل جمع الناس وهو: إنّ كافيهم شر الناس هو الله تعالى، ثم أثنوا عليه تعالى بقوله:﴿ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ فدلّ على أنّ قولهم ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾هو من المبالغة في التوكل عليه، وربط أمورهم به تعالى. فانظر

إلى براعة هذا الكلام وبلاغته حيث قوبل قول بقول،ومتعلق قلب بمتعلق قلب[٣]

ثم أتبع الله ذلك بذكر حال المؤمنين حيال قول المثبط لهم ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ وفى تعيين ما يعود إليه الضمير فى قوله ﴿ فَزَادَهُمْ ﴾ **قولان:**

الأول: عائد إلى الذين ذكروا هذه التخويفات، **والثاني:**أنه عائد إلى نفس قولهم والتقدير فزادهم ذلك القول إيماناً وإنما حسنت هذه الإضافة ؛ لأن هذه الزيادة في الإيمان لما حصلت عند سماع هذا القول حسنت إضافتها إلى هذا القول وإلى هذا القائل ونظيره قوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٤][٥].

---

(١) زهرة التفاسير ١٥١٢/١ ٠
(٢) المفردات ٣٠٠/١ ٠
(٣) البحر المحيط ٩٤/٣ ٠
(٤) سورة نوح /٥ ،٦ ٠
(٥) مفاتيح الغيب ٩ /٨١ ٠

والحق إن هذا القول الذى سمعوه زاد شعورهم بعزة الله وعظمته وسلطانه ويقينهم بوعد الله ووعيده ،وتبع ذلك زيادة فى العمل ودأب على إنفاذ ما طلب الرسول ﷺ ولولا ذلك ما أقدموا على الاستجابة إلى ما كاد يكون وراء حدود الإمكان ونحو هذه الآية قوله:﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (١) (٢).

هذا وقد استدل جمهور العلماء بهذه الآية وأمثالها كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣)﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٤)﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٥) على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ... والخلاف فى هذه المسألة مشهور (٦) .

وقولهم:﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كلمة لعلهم ألهموها أو تلقوها عن النبي ﷺ ومعناها:إنهم اكتفوا بالله ناصرا وإن كانوا في قلة وضعف،وجملة﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ معطوفةعلى﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ في كلام القائلين فالواو من المحكي لا من الحكاية (٧) **والوكيل** من التوكل وهو كلة الأمر إلى مالكه ،والتعويل على وكالته ، والوكالة يراد بها أمران:

أحدهما: التوكيل وهو الاستنابة والتفويض .

والثانى:التوكل وهو التعرف بطريق النيابة عن الموكل ،وهذا من الجانبين فإن الله ﷻ يوكل العبد ويقيمه فى حفظ ما وكل فيه، والعبد يوكل الرب ويعتمد عليه، فأما

---

(١) سورة الأحزاب /٢٢ .

(٢) حدائق الروح والريحان ٢٧٣/٥ .

(٣) سورة الأنفال /٢ .

(٤) سورة التوبة /١٢٤ .

(٥) سورة الفتح/٤ .

(٦) ينظر بسط هذه المسألة العقيدة فى الإيمان لابن منده ٣٦٢/١ ،معارج القبول بشرح سلم الوصول ٣ /١٠٠٥ ،مفاتيح الغيب ١٥ /٩٦ .

(٧) التحرير والتنوير ٢٨٦/٣ .

وكالة الرب عبده ففى قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (١) ،وأما توكيل العبد ربه فهو تفويضه إليه ،ولهذا قيل فى التوكل إنه عزل النفس عن الربوبية وقيامها بالعبودية . (٢)

و يأتى الوكيل في القرآن على **أربعة أوجه:**

أحدها: الحافظ. ومنه قوله تعالى:﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٣)

والثاني:الرب ومنه قوله تعالى:﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ (٤)

والثالث: المسيطر، ومنه قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٥) .

والرابع:الشهيد، ومنه قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(٦) (٧)

وللعلامة ابن عاشور كلام طيب فى تعدد معانى كلمة الوكيل فى آى الذكر الحكيم فقال: و"الوكيل" فعيل بمعنى مفعول أي موكول إليه، فالوكيل هو القائم بشأن من وكله، وهذا القيام بشأن الموكل يختلف باختلاف الأحوال الموكل فيها وبذلك الاختلاف يختلف معنى الوكيل، فإن كان القيام في دفع العداء والجور فالوكيل الناصر والمدافع ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾(٨)، وإن كان في شؤون الحياة فالوكيل الكافل والكافي ومنه: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾ (٩)

---

(١) سورة الأنعام/٨٩ .
(٢) أسماء الله الحسنى لابن القيم ص٤٣٤ وما بعدها .
(٣) سورة النساء/١٠٩ .
(٤) سورة المزمل /٩ .
(٥) سورة الأنعام/١٠١ .
(٦) سورة هود /١٢ .
(٧) نزهة الأعين النواظر ص ٦٠٧، ٦٠٨ .
(٨) سورة الأنعام /٦٦ .
(٩) سورة الإسراء /٢ .

وذلك يدل على أن الوكيل اسم جامع للرقيب والحافظ في الأمور التي يعنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها، ولذلك يتقيد ويتعمم بحسب المقامات. (١)

ثم أتبع الله ذلك بيان ما أتبع ثبات إيمانهم ،وصدق يقينهم فى قولهم ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ من منن إلهية وفيوضات جاد بها عليهم رب البرية فقال ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ وهو تعقيب لمحذوف يدل عليه فعل "فانقلبوا"؛لأن الانقلاب يقتضي أنهم خرجوا للقاء العدو الذي بلغ عنهم أنهم جمعوا لهم ولم يعبأوا بتخويف الشيطان، والتقدير: فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله،والباء للملابسة أي ملابسين لنعمة وفضل من الله .(٢)

قلت:

فى التعبير بالانقلاب دون غيره للدلالة على أن المؤمنين عادوا كما خرجوا لم يقتلوا ولم يقاتلوا ،ولكنهم عادوا بغير الصورة التى خرجوا عليهم إذ الانقلاب من قلب الشيء أى تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه (٣)،وهذا ما صرحت به الآية فالمؤمنون خرجوا مقاتلين وقد حاول الشيطان تثبيطهم فامتلأت قلوبهم إيمانا وعادوا غانمين .

ودل قوله ﷻ:﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ أن المؤمنين لما فوضوا أمورهم إلي ربهم، واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم الله ﷻ من الجزاء أربعة معان جليلية هذا بيانها:

الجزاء الأول: قوله ﷻ:﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ **فالنعمة:** الحالة الحسنة، وبناء النِّعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير. (٤)

والمراد بنعمة الله على المؤمنين فى هذا الموطن أنه خذل أعداءهم وثبطهم وألقى الرعب فى قلوبهم وأحسوا بأنهم وحدهم لا قبل لهم بمحمد ﷺ والذين آمنوا معه

(١) التحرير والتنوير ٣/٢٨٧ .
(٢) التحرير والتنوير ٣/٢٨٧ .
(٣) المفردات ٢ /٢٥٨ .
(٤) المفردات ٢/٤٤٢ .

ولذلك لما عادوا إلى قتال النبي ﷺ والمؤمنين جمعوا العرب بشتى قبائلهم فى غزوة الأحزاب.(١)

قلت: لما كانت النعمة تقال للقليل والكثير أفاد قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ عظم هذه النعمة وفخامتها إذ إنها من منعم عظيم جليل.

ولصاحب الظلال ملحظ طيب فى قوله﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ إذ قال:فهنا يردهم إلى السبب الأول في العطاء: نعمة الله وفضله على من يشاء ، ومع التنويه بموقفهم الرائع فإنه يرد الأمر إلى نعمة الله وفضله لأن هذا هو الأصل الكبير الذي يرجع إليه كل فضل وما موقفهم ذاك إلا طرف من هذا الفضل الجزيل!(٢)

و الثانى قوله تعالى:﴿وَفَضْلٍ ﴾أى:انقلب المؤمنون بفضل كما انقلبوا بنعمة من الله ،**والفضل:**الزيادة عن الاقتصاد ، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفضل في المحمود أكثر استعمالا، والفضول في المذموم .(٣)

واختلف فى المراد بالفضل هنا ، ففسره كثيرون بأنه فضل مالي(٤) ، ولا مانع من أن نعتبر ذلك الفضل معنويا، وهو فضل الجهاد والنية المحتسبة وقد باعوا أنفسهم لله تعالى، ولعل الأولى أن نقول: إن الفضل يشمل النوعين الربح المالي والشرف المعنوي، وكلاهما قد نالوه. (٥)

والثالث:قوله ﷻ: ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾وهذه الجملة فى موضع الحال أى انقلبوا سالمين من السوء. (٦)

---

(١) زهرة التفاسير ١٥١٢/١ .
(٢) فى ظلال القرآن ١/٢ .
(٣) المفردات ١٩٦/٢ .
(٤) الكشاف ٤٧٠/١ ،البحر المحيط ٣ /١٢٤ ،روح المعانى ٤ /١٢٩ .
(٥) زهرة التفاسير ١٥١٢/١ .
(٦) البحر المحيط ١١٥/٣ .

وهذه الجملة تصور أن المؤمنين عادوا سالمين فرحين إذ أفادت أن السوء لم يمسسهم ،**والسوء:** كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية ومن الأحوال النفسية، والبدنية، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم .(١)

والرابع:قوله ﷻ: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أى اتبعوا ما يرضى الله ويوصلهم إلى مثوبته ورحمته،باستجابتهم لرسولهم ﷺ وخروجهم للقاء أعدائهم بإيمان عميق،وعزم وثيق(٢)

ونالوا بإتباعهم نبيهم ﷺ رضا ربهم ﷻ ، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً ؟ فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم (٣).

قلت:

فى التعبير عن استجابة المؤمنين لأمر الرسول ﷺ بالخروج باتباع رضوان الله تصوير لطيب قلوبهم عند امتثالهم للأمر ،ومزيد ثواب الله عند جزائهم عليه، فرضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا لأمره، ومنتهيا عن نهيه، قال الله تعالى:﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾(٤) **والرضوان:** الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ (٥) وقال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾(٦)(٧)

وختمت الآية بهذا الختام الرائع﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ فالله ﷻ صاحب فضل عظيم لا تكتنه حقيقته، ولا يحده الحصر، وقد بدا فيما أسبغه الله تعالى من نعم

(١) المفردات ٥٢١/١ .
(٢) تفسير الوسيط ٣٤٤/٢ .
(٣) الكشف والبيان ٢١٤/٣ ،معالم التنزيل ٢ /١٣٩ ،لباب التأويل ٤٥٤/١ .
(٤) سورة المائدة /١١٩ .
(٥) سورة التوبة /٢١ .
(٦) سورة الفتح /٢٩ .
(٧) المفردات ٤٠٤/١ .

على الناس أجمعين، وما أنقذ به عباده المؤمنين من شر الكافرين، وما وفقهم له من طلب رضوانه وما نصرهم به من نصر مؤزر والتنكير فى الفضل ووصفه لإفادة كثرته وقوة أثره. (١)

كما أفاد هذا الختام زيادة تبشير للمؤمنين برعاية الله لهم، وزيادة تحسير للمتخلفين عن الجهاد فى سبيلهﷻ حيث حرموا أنفسهم مما فاز به المؤمنون الصادقون. (٢)

والخلاصة

نخلص مما سبق بأمور عظيمة النفع جليلة القدر لها أثر عميق فى تربية المؤمن تربية وجدانية عقدية ٠٠ وفيما يلى البيان بعد الإجمال:

أولا:قررت آى الحسبلة المنطوية تحت هذا المبحث أن الله وحده حسب نبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين ،وهذا ما صرح به فى قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (٣) فالله يحول بين نبيه ﷺ وبين الأعداء يكفيه شرورهم ويدفع عنه كيدهم ،والمؤمنون تبع لنبيهم فى كفاية الله لهم ونصرته إياهم إذا تحقق فيهم صدق اتباع نبيهم ﷺ وطاعته وهذا ما فهم من قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ٠

ثانيـاً:للحسبلة ثمار يستشعرها المؤمن ، فبها تسكن النفس ويطمئن القلب فلا يخش قائلها جموعاً جمعت ،فمنها يستمد قوة روحية عجيبة تصغر أمامها القوة المادية على اختلاف أشكالها وتنوعها وكيف لا ؟وقد استغاث قائلها برب عزيز طالبا منه العزة وأن يفصل بينه وبين خصومه بحكمته ٠٠﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾(٤)وأن يمده

(١)زهرة التفاسير ١٥١٣/١ ٠
(٢) تفسير الوسيط ٢ /٣٤٤ ٠
(٣) سورة المائدة /٦٧ ٠
(٤) سورة الأنفال /٤٩ ٠

بنصر من فيض عزته ورحمته ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1] وبهذه الكلمة التى اتخذها المؤمنون شعاراً يستشعرون برد رضا خالقهم وفضله العظيم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ٠

ثالثاً: سطرت آى الذكر الحكيم أن المؤمنين أدركوا ما للتوكل من قوة فاتخذوه سلاحاً يلقون به عدوهم ويستمطرون به نصر ربهم وفتوحاته ٠٠ ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4] ومن ثم فلا عجب أن يقابل المؤمنون ما حاول المثبطون إلقاءه فى قلوبهم من خشية الأعداء بالحسبلة التى تجسد التوكل الحقيقي على الله العلىّ العظيم ٠

(١) سورة الشعراء /٢١٧ ٠
(٢) سورة آل عمران/١٢٢ ٠
(٣) سورة آل عمران/١٦٠ ٠
(٤) سورة المائدة /٢٣ ٠

المبحث الثالث

العلاقة بين التوكل والحسبلة

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (١)

ينتظم هذا النص القرآنى السامى فى عقد من آيات الحسبلة ليكون ختاما لآيات بينات ربطت بين التوكل والحسبلة وهى قوله ﷻ: ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢) ، وقوله ﷻ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٣)،وقوله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (٤)

و يأتى هذا النص القرآنى فى آيات تتحدث عن الطلاق والرجعة والعدة وفى ذلك نكتة طيبة أشار إليها الشيخ سعيد حوى بقوله: إن الأمر بالتقوى والتوكل فى سياق الكلام عن الطلاق والعدة سببه أن الطلاق يقتضى زواجاً جديداً وعقداً، وبقاء المعتدة فى بيت الزوجية يقتضى إنفاقاً عليها وإرجاع المعتدة ،أو تفريقها يكاد أن يكون قفزة بالمجهول ،وكل ذلك يقتضى توكلاً ويحتاج إلى تقوى(٥) .

وبإنعام نظر فى هذا النص القرآنى يتبين ما فيه من حث للمؤمنين على التوكل وبيان فضله،وفى ذلك قال الإمام ابن جزى: التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع وحفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها وهو من أعلى المقامات، لوجهين:أحدهما:قوله﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٦)، والآخر: الضمان الذي في قوله:﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ .(٧)

---

(١) سورة الطلاق /٣ .
(٢) سورة الزمر / ٣٨ .
(٣) سورة التوبة /١٢٩. .
(٤) سورة آل عمران /١٧٣ .
(٥) الأساس ٥٩٧٥/١٠ .
(٦) سورة آل عمران /١٥٩ .
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٢٠/١ .

وللتوكل أركان بها يتحقق ، وفى بيانها قال الإمام البقاعى: قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي يسند أموره كلها ويفوضها معتمداً فيها فقد جمع الأركان الثلاثة التي لا يصلح التوكيل إلا بها، وهي العلم المحيط لئلا يدلس عليه والقدرة التامة لئلا يعجز، والرحمة بالمتوكل والعناية به لئلا يحيف عليه ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ أي كافيه،وحذف المتعلق للتعميم،وحرف الاستعلاء للإشارة إلى أنه قد حمل أموره كلها عليه سبحانه [1].

ثم حث ﷻ على التوكل بثلاث جمل متقاربة الخطى:

الأولى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾لأن المعبود الحقيقي القادر على كل شيء الغنيّ عن كل شيء الجواد بكل إذا فوض عبده الضعيف أمره إليه لا يهمله البتة

الثانية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي يبلغ كل أمر يريده ولا يفوته المطلوب.

الثالثة: ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ أي وقتاً ومقداراً.

وهاتان الجملتان كل منهما بيان لوجوب التوكل عليه لأنه إذا علم كونه قادراً على كل شيء وعلم أنه قد بيّن وعيّن لكل شيء حداً ومقدراً لم يبقَ إلا التسليم والتفويض [2].

ولله در الإمام الفيروزابادى إذ بين أن التوكل على الله فى كل شىء يكفى صاحبه كل شىء ومن ثم يبرز الربط القرآنى بين الأمر بالتوكل وبين الحسبلة فقال رحمه الله:وقد أمر الله تعالى بالتَّوكُّل فى خمسة عشر موضعاً من القرآن.

الأوّل:إن طلبتم النَّصر والفرج فتوكَّلوا علىّ:﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3].

الثانى: إذا أعرضتَ عن أعدائى فليكن رفيقك التَّوكُّل:﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[4].

الثَّالث: إذا أعرض عنك الخلْقُ اعْتَمِدْ على التَّوكُّل:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[5].

---

(١) نظم الدرر ٣١/٨ .

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ /٣١٤، ٣١٥ .

(٣) سورة آل عمران /١٦٠ .

(٤) سورة النساء/٨١ .

(٥) سورة التوبة /١٢٩ .

الرابع: إذا تُلِى القرآن عليك، أو تلوته، فاستَنِدْ على التوكُّل:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١).

الخامس: إذا طلبت الصّلح والإصلاح بين قومٍ لا تتوسّل إلى ذلك إلاَّ بالتَّوكُّل﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٢).

السّادس: إذا وصلت قوافل القضاءِ استقبِلْها بالتَّوكُّل:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣).

السّابع: إذا نَصبتِ الأَعداءُ حِبالات المكر ادخُلْ أنت فى أَرض التوكُّل﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾(٤)

الثامن: إذا عرفت أَنَّ مرجع الكلّ إلينا، وتقدير الكلّ منَّا، وطِّنْ نفسك على فَرْش التوكُّـــل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٥).

التاسع: إذا علمت أَنى الواحدُ على الحقيقة، فلا يكن اتِّكالك إلاَّ علينا: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾(٦).

العاشر: إذا عرفت أَنَّ هذه الهداية من عندى، لاقِها بالشُّكر، والتَّوكُّل:﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٧)

الحادى عشر: إذا خشِيت بأْس أَعداءِ الله، والشيطان الغدّار، لا تلتجئ إلاَّ إلى بابنا:﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٨).

---

(١) سورة الأنفال /٢.
(٢) سورة الأنفال /٦١.
(٣) سورة التوبة /٥١.
(٤) سورة يونس /٧١
(٥) سورة هود/١٢٣.
(٦) سورة الرعد /٣٠.
(٧) سورة إبراهيم /١٢.
(٨) سورة النحل /٩٩.

الثانى عشر: إن أَردتَ أَن أَكون أَنا وكيلك فى كلّ حال، فتمسّك بالتَّوكُّل فى كلّ حالٍ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١).

الثالث عشـر: إن أَردتَ أَن يكون الفردوس الأَعلى منزلك انزل فى مقام التوكُّل ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢).

الرابـع عشر: إن شئت النزول محلّ المحبّة اقصد أَولاً طريق التوكُّل: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣).

الخـامس عشـر: إن أَردتَ أَن أَكونَ لكَ، وتكون لـى، فاستقرَّ على تَخْت التوكّل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴾ ثمّ اعلم أَنَّ التَّوكُل نصف الدّين، والنصف الثانى الإنابة. فإنَّ الدّين استعانة،وعبادة. فالتَّوكُّل هو الاستعانة، والإنابة هى العبادة. (٤)

وفى ربط رائع بين ما حواه هذا النص القرآنى من شرط وجزاء قال الإمـام ابن القيم:أخبر ﷻ أن كفايته لهم مقرونة بتوكلهم عليه وأنه كاف من توكل عليه وحسبه وجعل لكل عمل من أعمال البر ومقام من مقاماته جزاء معلوما، وجعل نفسه جزاء المتوكل عليه وكفايته فقال﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾(٥) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (٦) ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ (٧) ثم قال في التوكل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ ﴾ فانظر إلـى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ولم يجعلـه لغيره وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده وأحبها إليه .(٨)

والخلاصة:

(١) سورة النساء /٨١ .
(٢) سورة النحل /٤٢ .
(٣) سورة آل عمران /١٥٩ .
(٤) بصائر ذوى التمييز ١ /٥٦٢، ٥٦٣ .
(٥) سورة الطلاق /٢ .
(٦) سورة الطلاق /٤ .
(٧) سورة الطلاق /٥ .
(٨) مدارج السالكين ١٢٨/٢، ١٢٩ .

أن الله ﷻ حث عباده على صدق التوكل عليه فى كل شىء ٠٠ ليجعل جزاءهم كفايته إياهم من كل شىء ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ فمن توكل على الله فى كل المهمات كفاه الله كل الملمات ٠

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فبعد هذه المعايشة في ظلال رياض آى الحسبلة النضرة يطيب لى بحمد الله تعالى أن أسجل بعض النتائج والتوصيات، وذلك فيما يلي:

- الحسبلة دعاء المرسلين والمؤمنين إذ هى شعار يستشعره العبد يملأ قلبه وتطمئن به نفسه وكيف لا ؟ وهو يعلن بها أنه أوى إلى ركن شديد ذى عرش مجيد فعال لما يريد ٠
- ينبغى للمؤمن أن يركن إلي الحسبلة فى كل المهمات ليكفيه الله الملمات ولكن بعد أخذه بالأسباب ٠٠ فهذه كياسة بها يمدح ،أما الفزع إلى الحسبلة دون أخذ للحيطة والمنعة فإنه عنوان على كسل صاحبه به يعاب ويذم ٠
- معرفة الله بأسماء جماله و جلاله ٠٠ والوقوف على قدرته الظاهرة وقوته الباهرة ورسوخ ذلك فى القلب يعمق فهم الحسبلة فى نفس قائلها مما يجلب له ما جاء فى فضلها ٠
- الله حسب نبيه ﷺ والمؤمنين إذا ما تحقق فيهم شرطا الإيمان والاتباع فمن أراد الوصول فعليه باتباع الرسول ﷺ ٠

وأخيراً أوصى إخوانى الباحثين فى مجال الدراسات القرانية أن يقفوا مع الكلمات الشائعة على ألسنة الناس خاصة إذا كانت دعوات مأثورة محاولين تأصيلها ببيان ما جاء فى شأنها من آى الذكر الحكيم إذ فى ذلك فهم للألفاظ من خلال معينها الذى لا ينضب فأفضل الذاكر ما وافق القلب فيه اللسان ٠

فالله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، نافعاً لخلقه فمنه التوفيق وعليه التكلان ،وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠

أهم المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: التفسير وعلوم القرآن

- إتحاف فضلاء البشر للعلامة أحمد بن محمد البنا تحقيق شعبان محمد إسماعيل ،ط عالم الكتب ،بيروت الأولى سنة ١٩٨٧ م٠
- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث القاهرة ٠
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام محمد بن محمد بن مصطفى العمادى أبى السعود، ط دار الفكر ٠
- الأساس فى التفسير الشيخ سعيد حوى ط دار السلام ،الأولى سنة١٩٨٥م٠
- أسباب النزول للإمام الواحدي تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان ط مؤسسة الحلبي القاهرة ١٩٦٨ م ٠
- أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن المختار الشنقيطى ط مطبعة المدنى، والتتمة عليه للشيخ عطية محمد سالم ٠
- الإكليل فى استنباط التنزيل للإمام السيوطى ط دار الكتاب العربي ٠
- البحرالمحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ط مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ٠
- البحرالمديد للإمام ابن عجيبة ط دار الكتب العلمية، بيروت،الثانية سنة٢٠٠٢ م
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق الأستاذ محمد على النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الثانية، سنة ١٩٩٦م٠
- التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط الدار التنوسية سنة ١٩٨٤ م٠
- تفسير القرآن العظيم للحافظ المؤلف: ابن كثير تحقيق سامي بن محمد سلامة ط دار طيبة ، الثانية ١٩٩٩ م ٠
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى الشافعى، ط دار الغد العربي ٠
- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلى ط دار الفكر،بيروت سنة ١٤١٨ هـ٠

– التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى، ط دار السعادة ٠
–تفسير مقاتل بن سليمان تحقيق: أحمد فريد ط دار الكتب العلمية ، بيروت الأولى سنة ٢٠٠٣ م ٠
– جامع البيان في تأويل القرآن ،للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة ، الأولى، ٢٠٠٠ م ٠
– الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، تحقيق دكتور محمد إبراهيم الحفناوى، ط دار الحديث، القاهرة، الأولى سنة ١٩٩٤ م ٠
–حدائق الروح والريحان فى روابي علوم القران للشيخ محمد الأمين الهروى ط دار طوق النجاة ،بيروت ،الأولى سنة ٢٠٠١ م ٠
–الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي،ط دار الفكر،بيروت،سنة ١٩٩٣م٠
–روح البيان للعلامة إسماعيل حقي ط دار إحياء التراث العربى ٠
–روح المعانى فى القرآن العظيم والسبع المثانى، للإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسى، ط دار إحياء التراث العربي، الرابعة، سنة ١٩٨٥ م٠
– زاد المسير فى علم التفسير للإمام ابن الجوزى تحقيق أحمد شمس الدين ط المكتب الإسلامى بيروت ،الثالثة ١٤٠٤ هـ٠
– زهرة التفاسير للشيخ الجليل محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي ٠
– السراج المنير للإمام محمد بن أحمد الشربيني، ط دار الكتب العلمية بيروت ٠
– عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبى تحقيق محمود محمد الدغيم ط دار السيد ،الأولى سنة ١٩٨٧ م٠
– غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظم الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى، ط دار الصفوة، الأولى، سنة ١٩٩٥م٠
– الغريبين فى القرآن والحديث للإمام أبى عبيد أحمد بن محمد الهروى تحقيق أحمد فريد المزيدى ،ط مكتبة نزار مصطفى الباز ،الرياض ،الأولى سنة ١٩٩٩ م

- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكانى ط عالم الكتب ، بيروت ٠
- فى ظلال القران للأستاذ سيد قطب ط دار الشروق ،الثانية والثلاثون سنة٢٠٠٣ م٠
- قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين بن على الحربي ط دار القاسم الرياض ،الأولى سنة ١٩٩٦ م٠
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للإمام الزمخشرى ط دار إحياء التراث العربى ،بيروت ٠
- الكشف والبيان للإمام الثعلبي ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الأولى سنة ٢٠٠٢ م٠
- لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن ط دار الفكر ، بيروت سنة ١٩٧٩ م٠
- اللباب في علوم الكتاب للعلامة ابن عادل الدمشقي تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ، الأولى سنة ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م٠
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للإمام أبى محمد عبد الحق بن غالب ا بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافى، ط دار الكتب العلمية بيروت
- مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع للإمام السيوطى تحقيق د محمد يوسف الشربجى ،بحث منشور بمجلة الأحمدية العدد الرابع ص ٩٣ سنة ١٤٢٠ هـ ٠
- معالم التنزيل للإمام البغوي ،تحقيق محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ط دار طيبة ، الرابعة،سنة ١٩٩٧ م٠
- معانى القرآن للإمام إبراهيم بن السرى الزجاج ، تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ط دار عالم الكتب ، بيروت سنة ١٤٠٨ هـ ٠
- معانى القرآن للإمام أبى زكريا يحيى بن زياد الفراء تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ط دار السرور بيروت ٠
- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ط دار الفكر ، بيروت لبنان ٠

– المكى والمدنى فى القران الكريم دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات للدكتور عبد الرزاق حسين أحمد ط دار ابن عفان القاهرة ،الأولى سنة ١٩٩٩ م٠
– نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر للإمام ا بن الجوزي تحقيق محمد عبد الكريم كاظم ط مؤسسة الرسالة، بيروت،الأولى سنة١٩٨٤ م٠
– نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعى تحقيق عبد الرزاق غالب المهدى ط دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان سنة١٩٩٥ م٠

ثالثاً: الحديث وعلومه

– التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام المناوي ، ط مكتبة الإمام الشافعي الرياض ،الثالثة سنة ١٩٨٨م٠
– دلائل النبوة . للإمام البيهقى ،تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٩٨٨ م٠
– زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ،تحقيق شعيب الأرنؤوط عبدالقادر الأرنؤوط ،ط مؤسسة الرسالة ،السابعة والعشرون سنة ١٩٩٤ م٠
– سنن الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ،ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠
– صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الثانية سنة ١٩٩٣ م
– صحيح الإمام البخارى تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ط دار طوق النجاة الأولى ١٤٢٢هـ ٠
– صحيح مسلم ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ،ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ٠
– الطبقات الكبرى لابن سعد ،تحقيق إحسان عباس ،ط دار صادر ، بيروت الأولى سنة ١٩٦٨ م
– عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ط دار الكتب العلمية – بيروت، الثانية،سنة ١٤١٥هـ ٠
– فتح الباري لابن حجر العسقلاني ،تحقيق عبد العزيز بن باز ، ومحب الدين الخطيب ط دار الفكر ٠

-فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام المناوي ،ط المكتبة التجارية مصر الأولى سنة ١٣٥٦ هـ ٠
-فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة عبد الرؤوف المناوي ،ط المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الأولى،سنة ١٣٥٦ هـ ٠
-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٩٤م٠
-المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ،ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى سنة١٩٩٠ م٠
-مسند الإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ،ط مؤسسة الرسالة ، الثانية سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م٠
-المعجم الكبير للإمام الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي ط مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،الثانية ١٩٨٣ م٠
-النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطناحي ، ط المكتبة العلمية ،بيروت سنة ١٩٧٩م

رابعاً: العقيدة والفرق

-أسماء الله الحسنى و صفاته العليا من كتب ابن القيم ،تأليف:عماد زكى البارودى ،ط المكتبة التوفيقية ٠
-الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للإمام القرطبى تحقيق د٠ محمد حسن جبل، و الأستاذ طارق أحمد محمد،ط دار الصحابة للتراث ،الأولى سنة ١٩٩٥م
-الإيمان للإمام محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ،ط مؤسسة الرسالة بيروت، الثانية، سنة ١٤٠٦ هـ ٠
-التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،للإمام طاهر بن محمد الإسفراييني ، تحقيق: كمال يوسف الحوت ،ط عالم الكتب ،بيروت الأولى،سنة ١٩٨٣م ٠
-السر الجليل فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل لأبى الحسن الشاذلى ط مطبعة الشرق ، الأولى ،بدون تاريخ

– شرح الأسماء الحسنى للإمام السنوسى ،تحقيق نزار حمادى ،ط مؤسسة المعارف ،بيروت ٠
– الفرق بين الفرق للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ،ط دار الآفاق الجديدة بيروت ،ا الثانية،سنة ١٩٧٧م ٠
– القيصدة النونية المسماة "الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية " لابن قيم الجوزية ،ط مطبعة التقدم العلمية ،مصر سنة ١٣٤٩ هـ ٠
– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ،ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، الثانية سنة١٣٩٣ هـ
– معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ،للعلامة حافظ بن أحمد حكمي ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر ،ط دار ابن القيم ، الدمام ،الأولى سنة ١٤١٠ هـ ٠
– المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للإمام أبى حامد الغزالى تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي ،ط دار الجفان ، الأولى،سنة ١٤٠٧ هـ

خامساً: اللغة والمعاجم

– إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ، تحقيق د.زهير غازي زاهد ،ط عالم الكتب ، بيروت ،سنة ١٤٠٩هـ٠
– ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ،للعلامة مصطفى بن عبدالله الرومي الحنفي ، ط دار الكتب العلمية ،بيروت ،سنة ١٩٩٢ هـ ٠
– تاج العروس من جواهر القاموس للعلامة الزَّبيدي ، ط دار الهداية٠
– التلخيص فى علوم البلاغة للإمام جلال الدين القزوينى ،ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقى ،ط دار الفكر العربي ،الأولى سنة ١٩٠٤ م ٠
– صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق د.يوسف علي طويل ،ط دار الفكر – دمشق ،الأولى،سنة ١٩٨٧م ٠
– الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ط مكتبة القدسى ،الأولى سنة ١٣٥٣هـ
– المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطى ، تحقيق: فؤاد علي منصور ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، سنة ١٩٩٨ م ٠
– معجم البلاغة العربية تأليف الدكتور بدوى طبانة ،ط دار العلوم ،الرياض سنة ١٩٨٢ م ٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٤٥
التمهيد	١٤٨
المبحث الأول: أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالحسبلة ٠	١٥٧
المبحث الثانى: الله حسب النبى ﷺ والمؤمنين ٠	١٧٦
المبحث الثالث:العلاقة بين الحسبلة والتوكل ٠	١٩٣
الخاتمة	١٩٨
فهرس أهم المصادر والمراجع	١٩٩
فهرس الموضوعات	٢٠٦